﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: 97]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نوال الأجر يشمل كلَّ مَن ثَبَتَ على الإسلام والعمل الصّالح

أشار ابنُ عاشور إلى مُناسَبَة الآية الكريمة لِما قَبْلها بقوله: "لَمّا كانَ الوَعْدُ المُتَقدِّمُ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ خاصًّا بِأولَئِكَ الَّذينَ نُهوا عَنْ أنْ يَشْتَروا بِعَهْدِ اللّه ثَمَنًا قَليلًا؛ عَقَّبَ بِتَعْميمِهِ لِكُلِّ مَن ساواهم في الثَّباتِ عَلى الإسْلامِ والعَمَلِ الصّالِحِ مَعَ التَّبْيينِ لِلْأجْرِ، فكانَتْ هَذِهِ الجُمْلَةُ بِمَنزِلَةِ التَّذْييلِ لِلَّتي قَبْلَها، والبَيانِ لِما تَضَمَّنَتْهُ مِن مُجْمَلِ الأجْرِ، وكِلا الاعْتِبارَيْنِ يوجِبُ فصْلَهُما عَمّا قَبْلَهما"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ﴾: أصْلُ (حيّ): يدلُّ على خِلافِ المَوتِ[2]، والحَيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: نَقيضُ المَيِّتِ؛ وحَيَّ، يَحْيا، فهو حَيٌّ؛ ومِنه الحَيَوانُ: مقرُّ الحياةِ، ويُقالُ على ضربيْن: أحدهُما: ما له الحاسَّة، والثّاني: ما له البقاء الأبديُّ، وهو المذكور في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: 64]، وقال بعضُ أهل اللُّغة: الحَيَوانُ والحياةُ واحدٌ[3]، وقيل: الحَيَوان: ما فيه الحياةُ، والموتان ما ليس فيه الحياةُ؛ والحَيا: المطر، لأنَّه يُحيي الأرضَ بعد موتها، والمقصودُ بالإحياءِ في الآية: إعطاءُ الإنسانِ ما به كمالُ الإنسانِ، فيَعُمُّ كُلَّ ما به ذلكَ الكمالُ، والمرادُ بالحياة الطَّيبة: وجوه الرّاحة كلُّها من أيِّ جهةٍ كانت[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 272.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حيي).
(3) مروي عن قتادة، يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: (حيا).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/ 313، وطنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 8/ 231.

2) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: أصلُ (جزى): قيامُ الشَّيْءِ مَقامَ غَيْرِهِ ومُكافَأَتُهُ إيّاهُ، يُقالُ: جَزَيْتُ فُلانًا أجزيهِ جَزاءً، وجازَيْتُهُ مُجازاةً[1]؛ وقد وَرَدَ الجزاءُ في القرآن على ستَّة أوجهٍ: الأوَّل بمعنى: المكافأةِ والمقابلةِ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الليل: 19]، أي: تُقابَل، والثّاني بمعنى: الأداءِ والقضاءِ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: 48]، أيْ: لا تَقْضي ولا تؤدّي، والثّالث بمعنى: الغُنْيَة والكفاية ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: 33]، والرّابع بمعنى: العِوَض والبَدَل ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: 95]؛ أيْ: فبَدلُه ومُبْدَله، والخامس: بمعنى خَراج أهل الذِّمَّة ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التّوبة: 29]، السّادس بمعنى: ثواب الخَير والشَّرِّ ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: 17][2]، والمقصود بالجَزاءِ في الآية: المُكافأةُ على عَمَلٍ حَسَنٍ بشيءٍ مِثلِه في الحُسْنِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّرغيب في المثابرة على أداء الطّاعات وعمل الواجبات الدِّينيَّة

يُخبر اللّهُ تعالى المؤمنين بوَعْدِه لهم بالحياة الطَّيبة في الدّارَيْن، فقال: مَن عَمِلَ عمَلًا صالحًا خالصًا لله، موافقًا للقُرآنِ والسُّنَّة - ومن ذلك الوَفاءُ بالعُهودِ - مِن ذَكَرٍ أو أُنثى، وهو مؤمنٌ باللّهِ ورَسولِه، مُصَدِّقٌ بوَعدِ اللّهِ ووَعيدِه، فلنُحيِيَنَّه في الدُّنيا حياةً سَعيدةً، وذلك بما يجِدُه من حلاوةِ الإيمان، والأُنْسِ باللّه تعالى، والتَّلَذُّذِ بعبادته، وطُمأنينةِ قَلبِه، وسُكونِ نَفسِه، وبما يَرزُقُه اللّهُ من الرِّزقِ الحلالِ الطَّيبِ مِن حيثُ لا يحتَسِبُ، معَ القناعةِ به، ثمَّ هو بعد ذلك يُجزى في الآخرة أحسنَ الجزاء، ويُثاب أجملَ الثَّواب، جزاءَ ما قدَّم مِن عَمَلٍ صالحٍ، وتحَلَّى به من إيمانٍ صادقٍ[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جزي).
(2) الرّاغب، المفردات: (جزا)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: 2/ 380.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 350، 354، 355، وابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 3/ 419، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 601، والقاسميُّ، محاسن التَّأويل: 6/ 407، والسَّعديُّ، تفسير الكريم الرَّحمن، ص: 449، والمراغيُّ، تفسير المراغيّ: 14/ 138.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ فصْلِ صدرِ الآية:

الآية فيها تبيينٌ لإجمال الأجر في سابقتها، وتعميمٌ لمن يناله هذا الأجر

فُصل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ عن الآية السّابقة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فلم يقل: (ومن عمل صالحًا)؛ وذلك لأنّها محمولةٌ على كمال الاتِّصال، فهي بمنزلة البيان للآية السّابقة؛ إذ لمّا كان الوعد بالأجر في الخطاب السابق خاصًّا بالذين نُهوا أن يشتروا بعهد الله تعالى ثمنًا قليلًا، فصبروا، وانتهوا عن ذلك؛ جاء قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ مبيِّنًا أن الله ﷻ يُجازي بالأجر الأحسن كلَّ من يعمل عملًا صالحًا من ذكر وأنثى على سبيل التعميم، وكما أنَّ فيه تعميمًا من ناحية جنس الموعود لهم بالأجر، فإنَّ فيه كذلك تبيينًا لمُجمل الأجر الموعود، بذكر الحياة الطيبة.

الآيةُ جوابٌ لسؤالٍ أوجبه اختصاصُ الآيةِ السابقة بالصابرين وإجمالُ أجرهم فيها

ويجوز أن تكون محمولةً على شبه كمال الاتِّصال، أي: على الاستئناف البيانيِّ، على افتراض سؤالٍ: إن كان هذا مآل من صبر وانتهى عن المنهيِّ سابقًا، فما جزاءُ كُلٍّ من صَبَرَ وعمل الصّالحات؟ وكيفَ هذا الجزاءُ؟ فكانت هذه الآية جوابًا شافيًا؛ والاعتباران متآيلان في المعنى؛ إذ الآية بيانٌ كاشف للمتقدِّمة، وهي بمنزلة التذييل لها والتعقيب عليها[1].

فائدة التَّصْريح بالذَّكَر والأُنْثى مع دلالة ﴿مَنْ﴾ على العموم:

صُرِّح بالذَّكَر والأُنْثى مع دلالة ﴿مَنْ﴾ على العموم؛ "لأنَّ هَذِه الآيَةَ لِلْوَعْدِ بِالخَيْراتِ، والمُبالَغَةُ في تَقْريرِ الوَعْدِ مِن أعْظَمِ دَلائِلِ الكَرَمِ والرَّحْمَةِ؛ إثْباتًا لِلتَّأْكيدِ وإزالَةً لِوَهْمِ التَّخْصيصِ"[2]؛ أيْ: تخصيصُ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 272.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 113، والطيبي، فتوح الغيب: 9/ 190.

الجزاء بالحياة الطَّيِّبة والأجر الجَزيل لتَبادُره من ظاهر لَفْظ (مَنْ)، لأنَّ لَفْظ (مَنْ) ظاهرٌ في الذُّكور؛ فكان في التَّنصيص على الذَّكَر والأُنثى بيانٌ لشموله للنَّوْعين[1]، فالخِطاب يَشْمل الذَّكَرَ والأُنْثى، فيُدخَلُ الذَّكَرُ ابتداءً، وتُدخَل الأُنْثى بقانون الاطمئنان، وهذه تَهمُّ الأُنْثى بالذّات، فكان ذِكْرُ الأُنْثى فيه فضْلُ حَثٍّ وتحضيضٍ لَها على عَمَل الصّالح، لِتَطيب حياتُها بسعادةٍ واطمئنانٍ في ظِلِّ زوجٍ صالحٍ[2].

ذِكْرُ الأُنثى فيه فضْلُ حَثٍّ وتحضيضٌ لَها على عَمَل الصّالح؛ لِتَطيب حياتُها

قال ابن عاشور: "وقَوْلُه تَعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تَبْيينٌ لِلْعُموم الَّذي دَلَّتْ عَلَيْهِ ﴿مَنْ﴾ المَوْصولَة، وفي هَذا البَيانِ دَلالَةٌ عَلى أنَّ أحْكامَ الإسْلام يَسْتَوي فيها الذُّكورُ والنِّساءُ، عَدا ما خَصَّصَه الدّينُ بِأحَدِ الصِّنْفَيْنِ"[3].

من عَدْلِ الإسلام تَساوي الذَّكَرِ والأُنْثى في أحكامه

بلاغةُ التَّتْميم:

في قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تَتْميمٌ؛ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ – موصولةً كانت أو شرطيَّة – تفيد العُمومَ، فكان لا بدَّ من تَتْميمها بالذَّكر والأُنْثى؛ للتَّأكيد، ولإزالة لوهم التَّخصيص جَرْيًا على مُعْتَقَدات العرب القديمة في تفضيل الذَّكرِ على الأُنْثى وإيثارِه بكلِّ ما هو خيرٌ[4]؛ فالنِّساء لا يَدْخُلنَ لفظًا في أكثر الأحكام والمُحاوراتِ لا سيَّما أنَّه في هذا الموضعِ قد عاد عليه ضميرٌ مُذَكَّر[5] في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

العرب تُغلِّب لفظَ الذُّكور على الإناث

وَجْه التَّعبير عن العمل بصيغة الماضي:

وَجْهُ التَّعبير عن العمل بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الدَّلالةُ على تَحَقُّق عَمَلِ الأعمالِ الصّالحة، والمُسارعةِ إليها.

الصّالح ما يَصْلُح للقَبول على الوجه الَّذي أمَرَ الله به

(1) الشِّهاب، عناية القاضي: 5/ 366، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 398، والشَّوكانيُّ، فتْح القدير: 2/ 801، وصِدِّيق خان، فتْح البَيان: 7/ 312.

(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4264.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 273.

(4) صافي، الجدول: 14/ 385 - 386، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 363.

(5) الشِّهاب، عناية القاضي: 5/ 366.

سِرُّ حَذْف المفعول به، وتنكير النَّعْت:

تَحْرِيضُ كافَّةِ المؤْمِنِينَ عَلى كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ

حُذِف المفعولُ به مِن قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أيْ: عَمَلًا صالِحًا، ونُكِّر النَّعتُ ﴿صَٰلِحًا﴾؛ لِترغيب المؤمنين في أيِّ عَمَلٍ، كانَ صغيرًا أو كبيرًا، بِشرط صلاحِه، وألّا يتركوا بابًا مِن أبواب الخير إلّا وطرقوه؛ وفي هَذا أيْضًا "شُروعٌ في تَحْريضِ كافَّةِ المُؤْمِنينَ عَلى كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ غِبَّ تَرْغيبِ طائِفَةٍ مِنهم في الثَّباتِ عَلى ما هم عَلَيْهِ مِن عَمَلٍ صالِحٍ مَخْصوصٍ دَفْعًا لِتَوَهُّمِ اخْتِصاصِ الأجْرِ المَوْفورِ بِهِم، وبِعَمَلِهِمُ المَذْكورِ"[1].

وأضاف أبو زهرة: "ونَكَّر ﴿صَٰلِحًا﴾، والموصوف والعمل غيرُ مذكور سواءٌ أكان مُقَدَّرًا أم كان غَيْرَ مُقَدَّر؛ وذلك ليتَّجِه النَّظرُ إلى نيَّة الصَّلاح والمصلحة في العمل، فإنَّ الاعتبارَ للنّيَّة كَكُلِّ خَيْرٍ في قانون الأخلاقِ العِبْرةُ فيه إلى النّيَّة، كما قال ﷺ: "إنَّما الأعمالُ بالنّيات وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى""[2].

دلالة ﴿مِّن﴾:

(مِـــن) للبيان والحال

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيانيَّةٌ، مُتَعَلِّقة بفعل محذوفٍ تقديرُه: (أعْني مِنْ ذَكَرٍ أو أنثى)، ويجوزُ أن يكونَ حالًا مِنْ فاعل ﴿عَمِلَ﴾[3].

بلاغة الجناس بين ﴿مَنْ﴾ و﴿مِّن﴾:

إثْـــراء النَّـظْـم بـالـمـحـسِّـنـات سبيلُ تناغمٍ وتوازنٍ وجمالٍ

في جملة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ جِناسٌ تامٌّ مُحَرَّفٌ بَيْنَ ﴿مَنْ﴾، و﴿مِّن﴾؛ لاختلافهما في الحركة: الفتحة والكسرة، أكْسَب الجملة جمالًا لفظيًّا بِما أحدثه مِن إيقاعٍ، وتناغمٍ وتوازنٍ في الجملة القرآنيَّة.

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 398، وصِدِّيق خان، فتْح البَيان: 7/ 312.

(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4264، والحديث رواه البخاريُّ، في صحيح البخاريِّ، عن عمر بن الخطّاب ﷺ.

(3) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المَصون: 7/ 282، وابن عادل، اللُّباب في علوم الكِتاب: 12/ 153.

نُكتة تنكير الذَّكَر والأُنثى:

نُكِّر (الذَّكَر) و(الأنثى) في قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ للتَّعميم، فالوعدُ في الآية بالجزاء الأوفى مِن الله تعالى لِكُلِّ مَن عَمِل صالِحًا مِن عِباده المُؤمِنين دونَ تمييزٍ بين ذَكَرٍ أو أُنثى، ولا اعتبارَ لِحَسَبٍ، ولا نَسَبٍ، أو جاهٍ، أو مالٍ، أو جِنْسٍ، أو لَوْنٍ.

الوَعْد الإلهيّ بالجزاء الأوْفى لِكُلِّ مَن عَمِل صالِحًا دون تمييز

سرُّ تقديم الذَّكَر على الأُنْثى:

قُدِّمَ الذَّكَرُ على الأُنْثى للتَّفضيل؛ وللإشارة إلى أن الرَّجُل يَجِب أن يكون قدوةً للمرأة في العبادة، وأعمالِ الخَيْر، والتَّسابقِ فيها؛ فضلًا عن كوْنِه الأسبقَ في ابتداء التَّخليقِ والإيجادِ، إذ وقع بآدمَ عليه السلام.

وجوبُ أن يكون الرِّجالُ قدوةً للنِّساء في العبادة، وأعمالِ الخير

وجْهُ العطف بـ ﴿أَوْ﴾ دون الواو:

أوثر العطفُ بـ ﴿أَوْ﴾ دون الواو: للدَّلالة على التَّنويع؛ وإذا ما تَوَفَّر الإيمانُ، فقد استوى الذَّكَرُ والأُنْثى في الثَّواب والجزاء.

تساوي الذَّكَر والأنثى في الثَّواب والجزاء

دلالة الواو:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حاليَّةٌ، والتَّقدير: (مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثى حالةَ كوْنِه وهو مؤمنٌ).

سِرُّ التَّعبير بالضَّمير المفرد: (هو):

عُبِّر بالضَّمير المفرد (هو) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حملًا على لفظ ﴿مَنْ﴾ - والمعنى راسخٌ في هذا الوصف - بعد التَّعميم الدّال عليه ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ للإشارة بالإفْرادِ إلى قِلَّةِ الرّاسِخينَ في التَّلَبُّس بالأعمال الصّالحة[1].

وَجْه تَنْكير ﴿مُؤْمِنٌ﴾:

والتَّنكير في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ للتَّعظيم، ولتَشريف المؤمِنِ الَّذي يحقِّق شَرْطَ قَبولِ الأعمالِ.

الإيمان شرط قبول الأعمال

(1) البِقاعيُّ، نَظْم الدُّرر: 11/ 248.

دلالة الجملة الاسميَّة الحاليَّة: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾:

وجــوبُ دوامِ الإيمـان لِقبولِ العملِ الصالحِ

وقُيِّدَ الخبرُ بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأنَّ الإيمان شَرْطُ قَبولِ الأعمالِ، إذ "لا اعْتِداد بِأعْمالِ الكَفَرَة في اسْتِحْقاقِ الثَّوابِ، أوْ تَخْفيفِ العَذابِ، لِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23]، وصفاءُ الحال يسْتَوْجِب وفاءَ المآل، والعملُ الصّالح لا يكون من غير إيمانٍ؛ لذا قُيِّد بالجملة الاسميَّةِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، وإيثارُ إيرادِهِ بِالجُملَةِ الاسْميَّةِ الحاليَّةِ عَلى نَظْمِهِ في سِلْكِ الصِّلَةِ؛ لإفادَةِ وُجوبِ دَوامِهِ، ومُقارَنَتِهِ لِلْعَمَلِ الصّالِحِ"[1].

إيثار لَفْظ الإيمان على الإسلام:

الإيـمـان درجـةٌ أعـــلى مِـــن الإسلام

أوثر لَفْظُ الإيمانِ على الإسلام؛ للدَّلالة على أنَّ الإيمانَ درجةٌ أعلى مِن الإســـلام، والإيمان قرينُ العمل، وهو: قولٌ باللِّســـان، وإخـــلاصٌ بالقلب، وعمـــلٌ بالجوارح؛ يزيد بزيـــادة الأعمالِ، وينقُص بنَقْصِ الأعمالِ، ومن هنا ناسب اختيارُه في سياق ذكرِ العملِ الصّالح[2].

بلاغة التَّتْميم:

يـنْـعَـمُ المـؤمـنُ بالعمل الصّالح مـوسِـرًا كـان أو مُعْسِرًا

أصاب الزَّمخشريُّ أحْسنَ الإصابةِ في بيان بلاغة التَّتْميم في جملة: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ إذ قال: "وذلك أنَّ المؤمنَ مع العمل الصّالح موسِرًا كان أو مُعْسِرًا يعيش عَيْشًا طَيِّبًا: إن كان موسِرًا فلا مَقالَ فيه، وإنْ كان مُعْسِرًا فمَعَه ما يَطيب عَيْشُه، وهو القناعةُ والرِّضا بِقِسْمَةِ الله؛ وأمّا الفاجرُ فأمرُه على العكس: إنْ كان مُعْسِرًا فلا إشْكالَ في أمرِه، وإنْ كان موسرًا فالحرصُ لا يَدَعُه أنْ يهنأ بِعَيْشِه"[3].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 398، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 227، وصدِّيق خان، فتح البيان: 7/ 312.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/ 258.

(3) الزَّمخشريُّ، الكَشّاف: 3/ 472.

دلالة الفاء:

سُرعة تحقُّق الوعدِ الإلهي بالحياة الطَّيِّبة

(الفاء) في جواب الشَّرط أو ما هو معنى الشَّرط، وهو الموصول، قد دلَّت على فوْريَّة تحقُّقِ الوعدِ الإلهيِّ بالحياة الطَّيِّبةِ للمؤمنين الَّذين يعملون الصّالحات.

دلالة اللّام:

اللّام المؤطِّئة للقَسَم

اللّام في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ﴾: لامُ القَسَم لِقَسَمٍ مُقدَّرٍ يحذفونه كثيرًا استغناءً لدَلالة الجوابِ عليه، وتدخل للمُبالَغة والتَّوكيد، وتحقيقِ العزمِ على القيام بالفعلِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالمضارع المؤكَّد باللّام ونون التَّوكيد الثَّقيلة:

مَزيدُ ترغيب في العمل الصّالح

وقد أكَّد سبحانه قولَه: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ بالقَسَم، وباللّام المؤطِّئَةِ لِلْقَسَم، وبنون التَّوكيدِ الثَّقيلة: ليدُلَّ تعالى على أنَّه يُحْيي حياةً طَيِّبَةً موسومةً بالدَّوام كلَّ مَنْ عَمِلَ صالحًا، ليزدادوا بِشْرًا وحُبورًا؛ وفيه مزيد ترغيب في الإقبال على العمل الصّالحِ.

وَجْه إسنادِ الإحْياء إلى ضمير الجلالة:

تَشْريف الوَعْد الإلهيّ

في إسْنادِ الإحْياءِ إلى ضَميرِ الجَلالَة: تَشْريفٌ للوَعْد، "كَأَنَّهُ قيلَ: فلَهُ حَياةٌ طَيِّبَةٌ مِنّا"[1]، وأنْعِم بحياةٍ يَمُنُّ بها اللّه تعالى، ويَعِدُ بها عبادَه الصّالحين!

نُكْتَة تنكير (الحياة):

التَّنكير للتَّعْظيم والتَّفخيم

نُكِّرَت ﴿حَيَوٰةٗ﴾ للتَّعْظيم والتَّفخيم بدليل وصْفِها بـ﴿طَيِّبَةٗ﴾؛ "وذلك بطُمَأْنينَةِ قلبِه، وسكونِ نَفْسِه، وعدمِ التفاتِه لِما يُشَوِّش عليه قَلْبَه، ويرزقُه اللّه رزقًا حلالًا طيِّبًا من حيث لا يَحْتَسِبُ"[2].

فائدة الوَصْف بالنَّكِرة ﴿طَيِّبَةٗ﴾:

تَعْميم وُجوهِ الرّاحة في الحياة الموعودة

فائدة الوَصْف بالنَّكِرة: ﴿طَيِّبَةٗ﴾ الإشارةُ إلى أنَّها تَشْمَل وُجوهَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 273.
(2) السَّعْديُّ، تيسير الكريم الرَّحْمن: 13/ 497.

الرّاحَةِ مِنْ أيِّ جهة كانت، مع أنَّ أكْثَرَ المُفَسِّرينَ عَلى أنَّ هَذِهِ الحَياةَ الطَّيِّبَةَ هي في الدُّنْيا لا في الآخِرَةِ؛ لأنَّ حَياةَ الآخِرَةِ قَدْ ذُكِرَتْ بِقَوْلِه تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وذَكَرَ الماورديُّ سبعةَ تَأْويلاتٍ للمقصودِ بالوصف ﴿طَيِّبَةً﴾: **أحَدُها**: أنَّها الرِّزْقُ الحَلالُ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ، **والثّاني**: أنَّها القَناعَةُ، قالَهُ عَليُّ بْنُ أبي طالِبٍ ﷺ والحَسَنُ البَصْريُّ، **والثّالِثُ**: أنْ يَكونَ مُؤْمِنًا بِاللّه عامِلًا بِطاعَتِهِ، قالَهُ الضَّحّاكُ، **والرّابِعُ**: أنَّها السَّعادَةُ، وهَذا مَرْويٌّ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أيْضًا، **والخامِسُ**: أنَّها الجَنَّةُ، قالَهُ مُجاهِدٌ وقَتادَةُ؛ ويَحْتَمِلُ **سادِسًا**: أنْ تَكونَ الحَياةُ الطَّيِّبَةُ العافِيَةَ والكِفايَةَ؛ وَيَحْتَمِلُ **سابِعًا**: أنَّها الرِّضا بِالقَضاءِ[2].

بلاغةُ المجاز العقليّ في وصف الحياة بالطَّيِّبة:

الحياةُ الطيِّبةُ بِلُزومِ طِيبِ ما فيها

لَمّا كانَتْ حَياةُ الذّاتِ لَها مُدَّةٌ مُعَيَّنَةٌ، كَثُرَ إطْلاقُ الحَياةِ عَلى مُدَّتِها، فوَصَفَها بِالطّيبِ بِهَذا الاعْتِبارِ، أيْ: طَيِّبٌ ما يَحْصُلُ فيها، وما يُحَصَّل؛ فهَذا الوَصْفُ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ مَجازٌ عَقْليٌّ بعلاقة المكانيَّة، أيْ: طَيِّبًا ما فيها، ويُقارِنُها مِنَ الأحْوالِ العارِضَةِ لِلْمَرْءِ في مُدَّةِ حَياتِهِ؛ فمَن ماتَ مِنَ المُسْلِمينَ الَّذينَ عَملوا صالِحًا، عَوَّضَهُ اللّه عَنْ عَمَلِهِ ما فاتَهُ مِن وعْدِهِ[3].

بلاغةُ الجناسِ الاشتقاقيِّ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً﴾:

بَيانُ نَوْعِ الحَياةِ الموعودة

في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً﴾ جِناسُ الاشتقاق، حيث اتَّفقت اللَّفظتان في مادَّة الاشتقاق (حَيِيَ)؛ وبلاغة هذا الجناس أنَّه عُبِّر به ليُبْنى عَلَيْهِ بَيانُ نَوْعِ الحَياةِ بِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[4].

(1) الشَّوكانيُّ، فتْح القدير، ص: 801.
(2) الماورديُّ، النُّكَت والعيون: 3/ 212.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 273.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 14/ 273.

سرُّ التَّعبير بالمضارع المؤكَّد باللّام ونون التَّوكيد الثَّقيلة:

أكَّـــد الـــجـــزاءَ الموعودَ الدّائم

عُبِّرَ بالمضارع المُؤكَّد باللّام ونون التَّوكيد الثَّقيلة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ لتأكيد الجزاءِ الموعود؛ وللدَّلالة على أنَّ الجزاء غيرُ مُنقَطِعٍ، بل هو من الله تعالى دائمٌ مستمرٌّ؛ وبيان أنَّ الجزاءَ كائنٌ في المُستقبل.

بلاغـةُ الالتِفـاتِ مـن ضمـير الإفْـرادِ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ إلى ضمير الجَمعِ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾:

الإفْـرادُ والجَمعُ مـراعـاة لِـنَـوْع الحياة

يعود الضَّميرُ على الذَّكَر أو على الأنْثى، والحديثِ عن الحياة الدُّنْيا، إذ يُحْيي كلًّا منهما حياةً مستقلَّةً على انفرادٍ، ولذلك أُفْرِدَ الضَّمير؛ أمّا جَمع الضَّمير في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ فلِكَوْنِه حديثًا عن الجزاءِ في الآخرةِ، وهُم هناك مُجتمِعون.

سِرُّ العُدول مِن التَّصْريح إلى الضَّمير ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾:

علَّة المُغايَرة دفْعُ الإيهامِ

الحديثُ في الآية السّابقة شمَل العِنْديَّة عنْدَ النّاس وعنْدَ الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، ولذلك خصَّص الجزاءَ بالَّذين صبروا؛ لأنَّ في إطلاقِه ما يوهِمُ بشمول الجميعِ بالأجرِ، أمّا في هذه الآيةِ؛ فالحديثُ عن مَن عمل صالحًا، فلا إيهامَ في الأمر ولا إلْباسَ؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾.

فائدة تكرار جملةِ الفاصلةِ:

تَـفَـضُّـل الـلـه تعالى على عِباده بجزيلِ العطاءِ، وعظيمِ الثَّواب

دَلَّ تكرارُ جملةِ الفاصلةِ: ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ على التَّأكيد على جزيل عطائِه سبحانه، وعظيمِ ثوابِه لعباده المُؤمنين بإعطائِهم على أدْنى ما يعملون مِن الصّالحاتِ كَما يعطيهم على أعلاها تَفَضُّلًا منه سبحانه وكَرَمًا.

سرُّ التَّعبير بالفعلِ (كان) مع الفعل المضارع:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ جاء بفعل الكَيْنونة ماضيًا مع جَعْلِ خبرِه فعلًا مضارعًا للدَّلالة على أنَّ تلك الأفعالَ كانت ديْدَنَهم،

فاستحقّوا أنْ يجازيَهم الله تعالى جزاءَ العملِ الَّذي كانوا مواظِبين عليه؛ فالفعلُ المضارع يدلُّ على التَّجدُّد والتَّكرار، و(كان) يدلُّ على رسوخ العملِ فيهم؛ فجمع بين الصّيغتيْن للدَّلالة على استمرارِهم على هذه الأفعالِ منذ الأزْمِنَة الماضية، وكأنَّها طبعٌ فيهم وسجيَّةٌ.

حُسْنُ أفعالِهم سَجاياهم، وجميلُ خِصالِهم

دلالة الجَمع في الضَّمائر:

كَشَفَ الآلوسيُّ عن دَلالة الجَمع في الضَّمائر بما لا مَزيدَ عليه بقوله: "والجَمعُ في الضَّمائرِ العائدَةِ إلى المَوْصولِ لِمُراعاةِ جانبِ المَعْنى، كَما أنَّ الإفْرادَ فيما سَلَفَ لِرعايَةِ جانبِ اللَّفْظِ، وإيثارُ ذَلكَ عَلى العَكْسِ بِناءً عَلى كَوْنِ الإحْياءِ حَياةً طَيِّبَةً في الدُّنْيا وجَزاءَ الأجْرِ في الآخِرَةِ لِما أنَّ وُقوعَ الجَزاءِ بِطَريقِ الاجْتِماعِ المُناسِبِ لِلْجَمعيَّةِ ووُقوعِ ما في حَيِّزِ الصِّلَةِ، وما يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ بِطَريقِ الافْتِراقِ والتَّعاقُبِ المُلائِمِ لِلْأفْرادِ، وقيلَ: بِناءً عَلى كَوْنِ ذَلكَ في الآخِرَةِ: إنَّ الجَمعَ والإفْرادَ لِما تَقَدَّمَ، وكَذا إيثارُ ذَلكَ عَلى العَكْسِ، فيما عَدا ضَميرِ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾، وإمّا في ضَميرِهِ، فلِما أنَّ الإحْياءَ حَياةً طَيِّبَةً بِمَعْنى ما سَلِمَتْ مِمّا تَقَدَّمَ أمرٌ واحِدٌ في الجَميعِ، لا يَتَفاوَتُ فيهِ أهْلُ الجَنَّةِ، فكَأنَّهم في ذَلكَ شَيْءٌ واحِدٌ، ولَمّا لَم يَكُنِ الجَزاءُ كَذَلكَ، وكانَ أهْلُ الجَنَّةِ فيهِ مُتَفاوِتينَ؛ جيءَ بِضَميرِ الجَمعِ مَعَهُ، فتَأمَّلْ كُلَّ ذَلكَ"[1].

الاشتراك في الحياة الطَّيِّبة، والتَّفاوت في الجزاء

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحياة والمعيشة:

الحياةُ: ضِدُّ الموت، ويُستعمل حقيقةً ومجازًا، نحو: مات الإنسانُ، وماتتِ الأرضُ؛ كذلك الحياةُ، نحو: أحْيا الله فلانًا، وأحيا الأرضَ بعد موتها[2]، ويدلُّ أصلُها على شَيْئَيْن: أحَدُهُما خِلافُ المَوْتِ، والآخَرُ الاسْتِحْياءُ الَّذي هوَ ضِدُّ الوَقاحَةِ[3].

لفظُ الحياةِ يدلُّ على معاني الاستقرارِ والأمنِ وراحةِ البالِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 228.
(2) السَّمين الحلبيُّ، عمدة الحفّاظ: حَيَيَ.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: حَيَيَ.

العَيْشُ: يدُلُّ أصلُه عَلَى حَياةٍ وبَقاءٍ[1]، والعَيْش والمَعيشة: ما يُعاش به، أو ما تكون به الحياةُ، وهو أخصُّ من الحياة[2].

الفرقُ بَيْنَ العَيْش والحياة: أنَّ العَيْش اسمٌ لِما هو سَبَبُ الحياة مِن الأكل والشُّرب وما بسبيل ذلك، وقولُهم: مَعيشَةُ فلان مِن كذا، يعنون: مأكلَه ومشربَه مِمّا هو سَببٌ لِبقاء حياته، فلَيْس العَيْشُ مِن الحياة في شيءٍ[3]؛ والحياة تدلُّ على معاني الاستقرارِ والأمنِ وراحةِ البالِ، وأمّا المَعيشَةُ فتدلُّ على معاني التَّعَبِ والسَّعْيِ والشَّقاءِ والضَّنْكِ وغيرِ ذلك، ومن هنا اختيرَ لفظُ الحياة في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: عَيَشَ.
(2) الرّاغب، المفردات: عَيَشَ.
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 82.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»